أَوْلَـى الـلِّـئَـامِ كُـوَيْـفِـيـرٌ بِـمَـعْـذِرَةٍ
فِـي كُـلِّ لُـؤْمٍ وَبَـعْـضُ الْـعُـذْرِ تَـفْـنِـيـدُ[١]
وَذَاكَ أَنَّ الْـفُـحُـولَ الْـبِـيـضَ عَـاجِـزَةٌ
عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ؟![٢]

إذا تذكرت!

قال بمصر وهو يريد سيف الدولة:

[البسيط]

فَـارَقْـتُـكُـمْ فَـإِذَا مَـا كَـانَ عِـنْـدَكُـمُ
قَـبْـلَ الْـفِـرَاقِ أَذًى بَـعْـدَ الْـفِـرَاقِ يَـدُ[٣]
إِذَا تَـذَكَّـرْتُ مَـا بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكُـمُ
أَعَـانَ قَـلْـبِـي عَـلَـى الـشَّـوْقِ الَّـذِي أَجِـدُ[٤]

= من الزاهدين، فلم يزد فلسين عليه لعدم رغبته باقتنائه، وإنما اشتراه لحاجته لمن يحمل عليه.

(١) و (٢) التفنيد: التعذير واللوم. كُوَيْفير، تصغير كافور، للتحقير. يرى الشاعر أن كافوراً يستحقّ المعذرة، فهو أولى لئيم حقير يستحق المعذرة، فهو لم يتعوّد على المآثر والفضائل لدناءة أصله وحقارة عنصر العبودية فيه، وهذا أخبث هجاء وجّه لكافور. ذلك أن الأحرار يعجزون عن الإيفاء بكلّ ما تتطلّبه محاسن الأخلاق منهم فكيف بمن لم يعتد على ذلك من العبيد الذين يفقدون علائم الرجولة الحقّة في كلّ معانيها.

(٣) لقد كان فراق الشاعر لكافور نعمة، فقد أحسّ طعم الحرية وتفتّحت نفسه، فاستنشق نسيماً له طعم ورائحة، بعدما كان يُفضّل البقاء في كنف كافور رغم معاناته وآلامه، وتغير الحال أفضل من البقاء على حال واحد.

(٤) وتذكّر الآلام والمعاناة يدفع بالمرء إلى التخلّص من أسبابهما رغم مغالبة الشوق في بعض الأحيان، وهنا يتغلّب العنصر الأقوى.